مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ

الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة
مؤسّسة علوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السنة السابعة – العدد السادس عشر

محرم الحرام ١٤٤٤ هـ – آب ٢٠٢٢م

القيادة والإدارة الناجحة في فكر الإمام علي (عليه السلام)

Leadership and Successful Management in the Thought of Imam Ali (peace be upon him)

د. حنان عباس خير الله

Dr. Hanan Abbas Khairallah

ملخص البحث

سعى أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى وضع أسس الدولة المتحضرة ودعائمها التي تقوم على احترام حقوق الإنسان واحترام إنسانية الإنسان، وجاهد الإمام (عليه السلام) في سبيل تحقيق ذلك، الأمر الذي كلّفه حياته الشريفة، إذ عاداه مجتمعه الذي تعود على نظام الطبقية.

إن الادارة تشكل بمجموعها مجتمعاً منظماً تنشأ فيه العلاقات الإنسانية وتنمو فيه الروح الجماعية. وعندما تتحرك هذه الادارة كأنما تحرك المجتمع بأسره، وهذه النظرة تخالف أولئك الذين ينظرون إلى الإدارة أنها متكونة مِن أجزاء بشرية متناثرة لا يربطها رابط سوى القوانين الصارمة، كما هي البيروقراطية. وضع أمير المؤمنين (عليه السلام) أسس الإدارة السليمة والقيادة الناجحة، إذ تضمن نهج البلاغة قدرًا كبيرًا من هذه الأسس، وفي هذا البحث حاولنا بيان بعض تلك الأسس التي تبنى عليها الإدارة مثلما ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام)، فالإدارة عنده (عليه السلام) ليست فعلاً ميكانيكياً بل هي مجموعة صفات وخصال تمتزج فيما بينها للحصول على المدير الجيد والإدارة الجيدة، وهذه الصفات هي التنظيم ، فلا إدارة بدون تنظيم ونظام، فإذا حل نقص في التنظيم حلّت محله الفوضى.

الكلمات المفتاحية: القيادة، الإمامة، الولاية، الحاكم، العدالة

Abstract

Imam Ali, peace be upon him, endeavored to lay the foundations and pillars of the civilized state, which is based on several important matters, including respect for human rights and respect for human humanity.

Management constitutes an organized society in which human relations are established and the collective spirit grows. And when this administration moves it is as if the society has moved, and this view is in conflict with those who see that the administration consists of scattered human parts that adhere only to strict laws, such as bureaucracy. Imam Ali laid the foundations of sound management and successful leadership. Nahj al-Balaghah included a large number of these foundations, and in this research we tried to clarify some of the foundations upon which the administration is based, as we mentioned. by Imam Ali (peace be upon him). It is a set of qualities that mix together to have a good manager and good management, and these qualities are considered to be organization, as there is no management without organization and order, and when any lack of organization occurs chaos does.

Justice is the most prominent axis in the approach to the rule of Imam Ali, peace be upon him, and the association of the name of Imam Ali, peace be upon him, with justice and its mixing with it reached a great extent, as the name of Ali became a title for justice, and the word justice became suggestive of the name (Ali), peace be upon him.

المقدمة

إنَّ الإمامَ أمير المؤمنين (عليه السلام) سعى إلى وضع أسس الدولة المتحضرة ودعائمها، والتي تقوم على احترام حقوق الإنسان واحترام إنسانية الإنسان، وقد سعى الإمام (عليه السلام) سعياً حثيثاً في سبيل تحقيق ذلك، الأمر الذي كلّفه حياته الشريفة؛ إذ عاداه مجتمعه الذي تعود على نظام الطبقية.

إنَّ الإمام (عليه السلام) قد سبق العصور والأزمنة بفكره الثاقب ورؤاه العظيمة، إلّا أنَّ المجتمع آنذاك لم يكن متفهماً وواعياً بما فيه الكفاية لما كان يريده الإمام (عليه السلام)، وبالنتيجة لم يستفد ذلك المجتمع من تلك الوصايا النورانية التي تعد بحق لبنات بناء الدولة المتحضرة.

وتعدّ العدالة المحور الأكثر تجلّيًا في منهج حكمه (عليه السلام)، وقد بلغ من اقتران اسم الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالعدالة، وامتزاجه بها، قدراً كبيراً؛ إذ صار اسم علي عنواناً للعدالة، وصارت مفردة العدالة توحي باسم (علي) صلوات الله عليه.

لا تزال الفرصة سانحة، وبإمكان عالم اليوم المليء بالحروب والدمار والأزمات، أن يعود إلى ذلك النهج النيّر، نهج الإمام علي (عليه السلام)، فهو كافٍ لإقامة الدولة الصالحة والعصرية المتحضرة، وكذا العودة إلى كتابه إلى واليه على مصر، الشهيد مالك الأشتر (رضوان الله عليه)، لننهل من ذلك المعين العذب، وهو يوصي عامله على مصر بأدقّ الأمور، وفي شتّى ميادين إدارة الدولة.

مفهوم القيادة:

تعددت وتنوعت واختلفت تعاريف مفهوم "القيادة" وذلك حسب اختلاف الزمان والمكان،

ولكن في مجمل التعاريف نجد أنها تركز على عدة عناصر أبرزها: فن إدارة الأفراد، تحقيق الهدف باستخدام الكفاءة العالية، تحمل أقل التكاليف أو الخسائر.

التعريف اللغوي للقيادة:

هي كلمة يونانية الأصل مشتقة من الفعل "يفعل"، أو يقوم بمهمة ما"، والقيادة حسب رأي (ارندت) تقوم على علاقة اعتمادية تبادلية بين من يبدأ الفعل وبين من ينجزه، أمَّا معناها في اللغة العربية: "فالقود هو نقيض السوق، يقود الدابة من أمامها ويسوق من خلفها، إن القود من أمام والسوق من خلف، والانقياد معناه الخضوع، وجمع قائد قادة وقواد"[١].

تعريف القيادة اصطلاحا:

القيادة: هي منصب ذو سلطة قانونية، وعن طريقها يمارس القائد سلطته على مرؤوسيه بفضل رتبته ومنصبه، وأيضا القدرة على التأثير في الآخرين، والقائد لا يمكن أن يكون قائدًا إذا قام بجهود قليلة لإدارة مرؤوسيه وإلهامهم، بل عليه أن يبذل الجهود المضنية لكي يصبح قائدًا[٢].

وهي أيضًا: "الأخذ بالزمام والسير نحو غاية مرسومة"، والقائد عند العرب الأقدمين هو: "المرشد، الدليل، الهادي"[٣].

- ويبدو أن أبسط تعريف للقيادة هو أن نقول: "هي عملية تحريك الناس نحو الهدف"[٤].

- وقالوا في القيادة أيضا: "ليست القيادة خلق شيء بقدر ما هي خلق رجال أو السيطرة عليهم وحبهم والحول على محبتهم، وعظمة هذه المهمة ناشئة عن توحيد الصفوف في سبيل واجب مقدس"[٥].

يحمل معنى القيادة في الفكر الإسلامي بعضًا من المعاني المتعلّقة

بهداية الناس وإرشادهم وتولي أمورهم، ومن معانيها ما يلي:

- **الإمامة:**

ويؤخذ منها (الإمام)، وتعني: "من يأتم الناس به من رئيس أو غيره، ومنه إمام الصلاة"، ويعني أيضا: الخليفة. (والإمامة) تعني: "رياسة المسلمين"[٦].

وتعني (الإمامة) أيضا: "التقدم والقصد إلى جهة معينة"، وكذلك "الهداية والإرشاد"، وكذلك "الأهلية لأن يكون المرء قدوة"[٧].

والإمام يعني هنا: من يؤم الناس ويُقتدى به في أمور الدين والدنيا، وهو أيضًا قائد المسلمين وهاديهم ومرشدهم وزعيمهم ورئيسهم الأعلى وحاكمهم، والدليل على أنَّ منصب الإمام في الإسلام أمر لا غنى عنه ويستحيل انتفاؤه، هو أن صلاتهم لا تصح من دون (إمام)، فلا بد من شخص يتولَّى إمامتهم في الصلاة، وعليهم أن يطيعوه ويقتدوا به، ولا يجوز مخالفته وعصيانه.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

وقال أيضا: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾.

قال تعالى: مخاطبا إبراهيم (عليه السلام): ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[٨].

- **الولاية:**

- وتعني في اللغة "السلطان"، ومنها الولي، وهو كل من ولي أمرًا أو قام به، وكذلك الوالي أي الذي يتولَّى أمر البلاد والعباد ويرعى شؤونهم.

والوالي هو القائد والمتصرّف بشؤون الناس والقائم على رعايتهم وإرشادهم، وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وآله): «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه،....» رواه البخاري.

ممَّا سبق يبدو لنا أنَّ القيادة في الإسلام تعني في جملتها: كل من

يتولّى شيئًا من أمر المسلمين العامة، فالإمام قائد، والأمير قائد، والمرأة في بيتها قائدة لأسرتها، والعبد الذي يرعى مال سيِّده قائد، والموظف العام قائد في إدارته ومكتبه، وربّ الأسرة قائد لأسرته، وقائد الجيش والشرطة قائد...، فالقيادة هنا المسؤولية التي توجب على من يحملها أن يقوم بها بأمانة وإخلاص ويرعاها حق رعايتها، وصولا بهذه المجموعة التي يتولّى شأنها إلى الأهداف التي تطمح الوصول إليها.

هذا وقد ارتبطت القيادة في الإسلام بالجندية ارتباطًا وثيقًا؛ لأن أمر الجيش يحتاج إلى قائد بارع، محنك، حازم، كفء، قوي، ولذلك فإن قائد الجند في الإسلام هو صاحب مدرسة ورسالة، ولنا في رسولنا محمد (صلى الله عليه وآله) القدوة الحسنة، فلقد كان الرسول الكريم هو المعلم الذي نزل عليه الوحي برسالة الإسلام ليبلغها للناس، وصاحب المدرسة التي تخرَّج فيها قادة أمم وأبطال حرب ورجال إصلاح وعلماء وفلاسفة ورواد حضارة"[٩].

- **الفكر القيادي عند الإمام علي (عليه السلام)**

لقد تأكد للجميع أنَّ الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يسير على وفق سنّة خير البرية، فهو وصيُّه ووراث علمه، وهو الذي يتمتع بكل صفات القيادة الناجحة، وهو القائد الشرعي المفترض الطاعة.

اعتمد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في منهجه للحكم على اختياره عناصر الدولة الناجحة، ومنها النظرية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم، لما يتضمّنه القرآن من مؤشرات واضحة في السياسة والحكم والقضاء والقانون والأخلاق وما يتضمنه من المبادئ

العامة التي تصون المجتمع وتحفظه من الأزمات.

وقال الإمام علي (عليه السلام): «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ»[١٠].

فالعمل السياسي والفكري النهضوي الذي يستهدف في تحركه إقامة الدولة والمجتمع الصالح يتطلّب قيادة إسلامية عالمة بالأحكام والقوانين التشريعية ومصادرها الأساسية؛ لأن الأحكام والتشريع هو العمود الفقري لجسم الدولة وهو يحدد مسيرتها وإطارها الفكري العام. والفقيه، العالم هو صمام الأمان لتنفيذ مبادئ الشريعة على أساس قدراته الفقهية التشريعية الفذة حتى لا تتخبط مسيرة الدولة في متاهات القوانين الوضعية.

• الشروط التي يجب أن تتوافر في الحاكم

إن الإمام علي (عليه السلام) قد وضع شروطًا في نهج البلاغة يجب أن تتوافر في الحاكم الصالح، وهي:

١. أن يكون كريم النفس؛ لئلا يدفعه الطمع وشدة الحرص إلى العدوان على أموال المسلمين.

٢. أن يكون عالمًا؛ لأنه قائد المسلمين الأعلى، لذا يجب أن يهديهم، ولو كان جاهلا لأضلّهم.

٣. يجب أن يكون رحب الصدر ليّن العريكة.

٤. أن يكون عادلًا في إعطاء الأوامر، فيساوي بين الناس في العطاء ولا يفضل قومًا على آخر على حساب آخرين استجابة لشهوات نفسه وميول قلبه.

٥ أن يكون نزيهًا في القضاء، فلا يرتشي؛ لأن ذلك يؤذن بذهاب العدل في الأحكام.

٦. أن يكون عالمًا بالسنَّة، فيجري الحدود ولو على أقرب الناس إليه،

ويعطي الحق من نفسه كما يطلبه من غيره، وفي هذا قال الإمام (عليه السلام):

«وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ وَلاَ الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ وَلاَ الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ وَلاَ الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ. وَلاَ الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ وَلاَ الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ»[11].

• وظائف الحاكم عند الإمام علي (عليه السلام)

تقديم المصالح العامة

ممَّا يوجب على الحاكم سن القوانين والمقررات، واتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لضمان الحقوق العامة، والأخذ على يد مخالفي القانون فيما إذا طالت عامة الأمة بعض الأضرار والخسائر.

ولذلك كان يوصي الإمام (عليه السلام) مالك الأشتر واليه على مصر بالعمل الجاد الذي يجلب رضا العامة، وإن استبطن سخط الخاصة؛ وذلك لأن هذا المعنى أقرب للعدالة وأبعد عن الظلم والجور قائلًا (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ»[12].

ويطالب الحاكم في موضع آخر بالحيلولة دون تدخل خاصته وبطانته من الذين يتصفون بالأنانية وعدم مراعاة الإنصاف في المجالات الاقتصادية، ولا يهمهم سوى ضمان مصالحهم الشخصية في الشؤون الاقتصادية للبلاد. وكذلك اجتثاث جذور الظلم المتأصلة فيهم عن

طريق إغلاق كافة السبل التي تمهد لتحقيق أطماعهم وجشعهم: «ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ»[١٣].

إعانة الفقراء

يؤكد الإمام (عليه السلام) على الحاكم أن يولي اهتمامًا فائقًا لفقراء المجتمع، بهدف إجراء العدالة الاجتماعية في مجالها الاقتصادي. في حين يقود عدم الاكتراث لهذا الأمر وعدم الاهتمام بالفقراء وإيجاد السبل التي تكفل رفع حالة الفقر عنهم بالتدريج، إلى شيوع المفاسد الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، ومن ثمَّ تفشي الجريمة في المجتمع. ولذلك يوصي الولاة باستخدام أفراد يضطلعون بهذه الوظيفة، ليمدوه بالتقارير والمعلومات المفصلة التي تستعرض أوضاع الفقراء والمعوزين بغية تلبية حاجاتهم والقضاء على فقرهم.

وممَّا لا شك فيه أنَّ هذه الطبقة إنما استحقت هذه العناية الخاصة بفعل ضعفها وعدم قدرتها على المطالبة بحقوقها، ومن ثمَّ فالحاكم مكلّف بالنظر في أمرهم وإحقاق حقوقهم، والحذر من أي غفلة وإهمال بهذا الشأن: «ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى... فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ»[١٤].

التساهل والرفق

المحور الآخر من محاور وظيفة الحاكم تجاه الأمة الرفق بالناس حين التعامل معهم، وعليه ألَّا يكلف الأمة فوق طاقتها بما يرهقها ويثقل كاهلها، وأن أدنى ما يترتب على الرفق بالأمة كسب ودها وثقتها.

الأمر الذي يجعل الحاكم يشعر بالدعم والإسناد الذي يتطلبه في مواقع الحاجة: «وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤُنَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ»(١٥).

وقال (عليه السلام) بشأن الضرائب وضرورة التخفيف من عبئها على الأمة: «فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ... خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمُؤُنَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ... فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ»(١٦).

إن الرفق والتخفيف عن الأعباء لا يختص بالأمور المادية فقط، بل يشمل حتى الأمور العبادية ومراعاة أحوال الناس، وهذا ما أكده وطالب به ولاته؛ إذ قال: «وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ، فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً، وَلَا مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ، وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً»(١٧).

المباشرة بالنظر في أمور الناس ومعالجة مشاكلهم:

يرى (عليه السلام) أن إحدى وظائف الحاكم تتمظهر في سماعه مباشرة لشكاوى الناس والنظر فيها بدون واسطة: «وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ»(١٨).

تعليم الناس وإيقافهم على الحقائق:

الوظيفة الأخرى التي يمارسها

الحاكم إنما تتمثل في تعليم الأمة وجعلها ملمة بأغلب الأمور، وهناك أسلوبان يمكن عن طريقهما تحقيق هذا الأمر. أحدهما: الأسلوب التعليمي الذي يمكن ملاحظته من تأكيدات الإمام (عليه السلام) لولاته بالاهتمام بهذا الموضوع. فقد جاء في تأكيده لوالي مكة: «أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ، فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ، وَذَاكِرِ الْعَالِمَ، وَلاَ يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلاَّ لِسَانُكَ، وَلاَ حَاجِبٌ إِلاَّ وَجْهُكَ، وَلاَ تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا»[19].

كما يجب إيقاف واطلاع الأمة على الحقائق. فقد تسود المجتمع بعض حالات سوء الظن تجاه الحاكم أو الحكومة، الأمر الذي يتطلب منه ممارسة وظيفته في كشف النقاب عن الأمور الغامضة التي تساور أذهان الناس.

فقد أوصى مالكا بهذا الشأن قائلا: «وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ»[20]. وقد كان هذا الأسلوب مشهودًا في سيرة الإمام علي (عليه السلام)، بحيث لم تطرأ أدنى شبهة لأي فرد، إلّا وانبرى لإزالتها والقضاء عليها عن طريق التعرض لها بكلماته أو كتبه أو رسائله التي كان يبعثها.

• أساسيات القيادة الإدارية

الرقابة:

أمَّا الرقابة وصيانة الحقوق والواجبات الاجتماعية، فإنَّها تُعدُّ من أساسيات النظام السياسي الإسلامي، وقد بذل الإسلام جهوداً حثيثةً في سبيل ضمان الحقوق الفردية والاجتماعية للمجتمع، وعلى سبيل المثال، أننا عندما ندرس النصوص

النبوية. فإن هناك اهتماماً واضحاً من قبل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لتنظيم الاقتصاد الإسلامي وتطبيقه في مجالات متعددة حتى لا يتم استغلال واحتكار البضائع من قبل المتلاعبين بالسوق.

وفي رسالة الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر، لَمَّا أراد توليته على مصر أمره (عليه السلام) أن يردع المحتكرين، ويقف أمام تصرفاتهم بحزم وقوة؛ إذ قال (عليه السلام): «.. فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله) مَنَعَ مِنْهُ، وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ، مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً، بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ، فَنَكِّلْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ من غَيْرِ إِسْرَافٍ..»[٢١].

هذه النصوص التاريخية، تدلل على الذهنية الاجتماعية التي تتحرك عن طريقها القيادة الإسلامية، المتجسدة بشخص الإمام علي (عليه السلام) لتنظيم الحياة الاقتصادية في المجتمع على أساس المتابعة الميدانية اليومية لوضع حدّ للتلاعب بالشؤون الاقتصادية العامة التي تحرك اقتصاد المسلمين آنذاك، وهذا ما يمكن فهمه عن طريق بعض اللقطات الفكرية للقرآن الكريم، كما في حركة نبي الله شعيب (عليه السلام) قال تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[٢٢].

وقوله تعالى:

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ..﴾[٢٣].

فقد كان أصحاب الأموال والتجار يستغلون المستضعفين، ويتعدون على

حقوقهم عن طريق التطفيف كحالة لها ترويج لا يستند إلى أي قاعدة ومنطلق صحيح، لهذا أراد شعيب أن يحقق معنى العدالة الاجتماعية في الجانب الاقتصادي الذي هو عصب حياة الناس ويتطلب منه الدقة في المتابعة والصيانة، وتحرّك القائد الرسالي لتثبيت أواصر الأخوة و تحقيق العدالة.

كما رفض الإمام بشدة سلبية المجتمع تجاه الخطأ أيًّا كان مصدره أو التردي من أي جهة تأتي، إذ يقول مخاطباً أبناء الأمَّة: «وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلاَ تَغْضَبُونَ... [ويحملهم المسؤولية قائلاً] وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ»[٢٤]

وقال الإمام (عليه السلام): «أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ»[٢٥].

إنَّ تحميل الإمام أبناء الأمة مسؤولية الانحراف أو الخطأ في المجتمع بشكل عام وقياداته بشكل خاص، ليس بعيداً عن منح الإمام للأمة الحق في تقييم العمل والأداء السياسي بموضوعية وعقلانية قبل اتخاذ موقف ما؛ إذ قال (عليه السلام): «فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ. وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ»[٢٦] و«رَحِمَ اللهُ رَجُلاً رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ»[٢٧]، ويبلغ الإمام درجة في إنصاف الأمة تاركاً لها حق تقييم أدائه، ففي إحدى خطبه (عليه السلام) يقول: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذَا إِمَّا ظَالِماً وَإِمَّا مَظْلُوماً وَإِمَّا بَاغِياً وَإِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ، وَأَنَا أُذَكِّرُ اللهَ مَنْ

بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي وَإِنْ كُنْتُ مُسْيئاً اسْتَعْتَبَنِي»[٢٨].

إن الإمام لم ينظر إلى مسألة المراقبة الدقيقة من الأمة للحاكم وسياسته على أنها حق فحسب، بل هي واجب. وترافقت هذه النصوص القانونية مع سيرة عملية مميزة للإمام، فقد كان يطالب الأمة بمراقبته قائلاً: «يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ إِذَا أَنَا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ بِغَيْرِ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي وَغُلَامِي فَأَنَا خَائِنٌ»[٢٩].

فالإسراف والتعدي الخطير لهذا المرض الاجتماعي يتطلب من القيادة العقائدية الموقف الرسالي الحازم لفرض صيانة عقائد الناس وتنظيم حياتهم الأخلاقية والاجتماعية؛ لأنها قد تتعرض في بعض الظروف لحالات الانهيار بعدما تداخلت فيها بعض الثقافات المادية المنحرفة، وأننا عندما ندرس حالة المجتمعات الغربية التي أطلقت الحريات سواء كان في جانبها الاقتصادي أم الجوانب الأخرى، فإن مجتمعاتها ما تزال تعيش مشاكل مادية ونفسية جسيمة، والتي تثير حولها المشاكل الاجتماعية الفكرية نتيجة لهذ الانحلال والإباحية المطلقة والتي تستدعي ترصين العلاقات الاجتماعية وتنظيمها على ضوء الأسس الصحيحة والسليمة لضمان حياة مجتمع أفضل.

المساواة والعدالة:

عانت البشرية منذ فجر تاريخها الطويل الكثير من ألوان الظلم والطغيان نتيجة لممارسات الحكام الظلمة عبر هذا التاريخ، لهذا كانت البشرية بحاجة ماسة إلى العدل والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد، وهذا ما يتطلب وجود حاكم عادل لقيادة البشرية نحو شاطئ الأمان. ومن أهم الشروط لتولي

منصب القيادة العامة للمسلمين أن يكون الحاكم عادلًا في تطبيق مفهوم العدالة الاجتماعية، وأن يخلق جوًّا من المساواة بين أفراده. قال القلقشندي الشافعي من ضمن ما ذكر من شروط في صفات الحاكم: «العاشر العدالة: فلا تنعقد إمامة الفاسق، وهو التابع لشهوته، المؤثر لهواه من ارتكاب المحظورات والإقدام على المسكرات؛ لأنَّ المراد من الإمام مراعاة النظر للمسلمين، والفاسق لم ينظر لنفسه في أمر دينه، فكيف ينظر في مصلحة غيره!»[٣٠].

وقال عبد القادر البغدادي: «والثاني -العدالة والورع وأقل ما يجب له من هذه الخصلة أن يكون ممَّن يجوز قبول شهادته تحملاً وأداءً»، و«كما يستفاد من روايات اشتراط العدالة في إمامة الجماعة، فلئن كانت العدالة شرطاً في الإمامة لصلاة الجماعة، فما ظنّك بإمامة الأمة في حلها وترحالها والتصرف في مقدّراتها، وتؤيد هذا الشرط رواية سدير»[٣١].

والرواية مروية عن أبي جعفر (عليه السلام)؛ إذ قال: «**قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لَا تَصْلُحُ الْإِمَامَةُ إِلَّا لِرَجُلٍ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَعَاصِي الله، وَحِلْمٌ يَمْلِكُ بِهِ غَضَبَهُ، وَحُسْنُ الْوِلَايَةِ عَلَى مَنْ يَلِي حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ كَالْوَالِدِ الرَّحِيمِ**»[٣٢].

من الأولويات والمهام الأساسية التي تكون مورد اهتمام القيادة الإسلامية هي إقامة العدل، وتحقيق المساواة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، وهذه الخصوصية تعد من أساسيات وجود الدولة الإسلامية، قال تعالى:

﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ الله وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾[٣٣].

وهذه هي القاعدة والمنطلق لأصول الحكم وأخلاقياته في المفهوم الإسلامي، فلا يحق للقائد التجاوز على الحدود الشرعية والقواعد الأساسية في الفكر الإسلامي؛ لأنّ هناك رقابة إلهية مستمرة ترقب تحركات الرسول (صلى الله عليه وآله)، أو الإمام (عليه السلام)، أو القائد الفقيه، وتسدّده في خطواته ما دامت تنسجم مع الخط الإسلامي الصحيح.

ففي حديث للإمام الصادق (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «إذ قال لعمر بن الخطاب: «ثلاث إن حفظتهن وعملت بهن كفتك ما سواهن، وإن تركتهن لم ينفعك شيء سواهن، قال: وما هن يا أبا الحسن؟ قال: إقامة الحدود على القريب والبعيد، والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط، والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود» قال عمر: لعمري لقد أوجزت وأبلغت»[٣٤].

فإقامة العدل ركيزة من ركائز الإسلام؛ لأنها تعزز وحدة الأمة، وتذوب شخصيتها في الكيان الإسلامي الذي تجسد القيادة الإسلامية الواعية وجوده عن طريق الخصائص الأساسية لقيام الدولة الإسلامية، وتحقيق معنى المجتمع الإسلامي الصالح.

العلاقة الإنسانية ومودة الأُمة

هناك ترابطٌ قوي بين اهتمام الوالي بالعدل والإحسان وبين ظهور مودة الرعية للوالي ونصحهم في ذلك، وقد قال الإمام علي (عليه السلام): **«وَإِنَّ أَفضلَ قرة عَين الْولاة اسْتِقَامة العدل فِي البلاد وَظهور مودةِ الرعِية، وإِنه لا تظهر مَوَدتُهُمْ إِلّا بِسلامة صدورِهم، وَلا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلّا بحيطتِهم عَلَى ولاة الأمورِ وَقِلةِ اسْتِثقَال دوَلهم وَتَرْكِ استِبطاء انْقطاع مدتهم»**[٣٥].

وينفكّ عن هذا الارتباط الجندي الذي لا يمكنه التضحية في ساحة الوغى أو النصح لولاته إذا كان لا يرغب بهم ولا يميل إلى ودهم، إذ يستثقل وجودهم مع دولهم ويتمنّى زوالها لِما عاناه منهم.

أمّا إذا كان الأمر عكس ذلك، فإنهم (لا يستبطوا انقطاع مدتهم، بل يعدون زمنهم قصيراً يطلبون طوله)[٣٦].

لقد ربط الإمام علي (عليه السلام) بين ما سبقَ وما لَحق من تبادل النصح والمحبة بين الجند والوالي، وبين ما يتبع ذلك من واجبات وحقوق، فالقائد الذي له صفاتٌ جيدةٌ له أثرٌ كبيرٌ على المعنويات والمجتمع بصورة عامّة.

التعاون بين الحاكم والشعب

يقول الإمام علي (عليه السلام): «وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحانَهُ مِنْ تِلكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا الله سُبْحانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لإلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إلّا بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ إلاَّ بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأعْدَاءِ وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ الإدْغَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِّلَتِ الأحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ» إلى أن يقول: «فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ثم يقول وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ الله عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إقَامَةِ الْحَقِّ

بَيْنَهُمْ»[٣٧].

فعلى الرعية أن تعطي الوالي ما عليها من حقوق، فتطيعه إذا أمر وتجيبه إذا دعا وتنصحه إذا استنصحها، وعلى الوالي إذا حصل على ذلك أن يستثمر ذلك في إصلاح شؤون رعيته، ولكن حين لا تبذل الرعية للوالي طاعتها ولا تمحضه نصيحتها لا تلبي دعوته إذا دعاها، فإن الوالي سيكون مضطرا لأن يمضي وقته في رعاية مصالح نفسه ويهمل مصالح رعيته وينتج عن ذلك شيوع الظلم وسيطرة الظلمة وانحراف الدولة وفسادها.

الخاتمة

ممَّا سبق تبين لنا أنَّ الإدارة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) ليست فعلاً ميكانيكيًّا بل هي مجموعة صفات وخصال تمتزج فيما بينها للحصول على المدير الجيد والإدارة الجيدة، وهذه الصفات هي التنظيم، فلا إدارة من دون تنظيم ونظام، فإذا حلَّ نقص التنظيم حلّت محلّه الفوضى.

وكذلك الإنسانية بمعنى أن الذي يتحرك ويفعّل الإدارة هو الإنسان وليس الآلة، فكان لابُد من معرفة الإنسان والتعريف بنقاط قوته وضعفه، فالإدارة الجيدة هي التي تحاول أن تستثمر نقاط القوة في أعضائها وتعالج نقاط الضعف فيهم.

إن الإدارة تشكل بمجموعها مجتمعاً منظماً تنشأ فيه العلاقات الإنسانية وتنمو فيه الروح الجماعية. وعندما تتحرك هذه الإدارة كأنما المجتمع بأسره قد تحرك، وهذه النظرة تخالف أولئك الذين ينظرون إلى الإدارة وكأنها متكونة مِن أجزاء بشرية متناثرة لا يربطها رابط سوى القوانين الصارمة، كما هي البيروقراطية.

لابد من أن يكون للإدارة هدف، وأن يكون هذا الهدف منسجماً مع أهداف الإنسان في الحياة، ومن ثمَّ يجب أن تكون هذه الأهداف منصبة في بناء الإدارة القوية، وهنا نجد أنفسنا أمام دائرة متكاملة شاملة وهي التي تعبر عن الفضائل الإنسانية وتسعى إلى تحقيقها في الحياة.

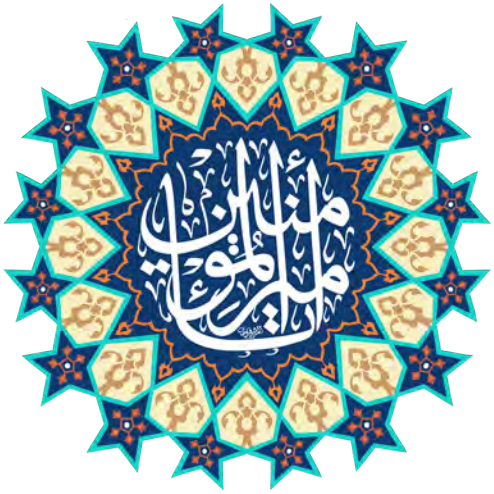

الهوامش

١. عبيدات، زهاء الدين، القيادة والإدارة التربوية في الإسلام، دار البيارق، عمان، ٢٠٠١، ص ٤٠، ص ٤١.

٢. هيز، صامويل، وليم توماس، تولي القيادة، فن القيادة العسكرية، ترجمة سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤. ص ١٨- ٢٠.

٣. المناف، جميل كاظم، القيادة والأزمة الحضارية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٤٠.

٤. انظر الموقع الالكتروني:

www.islammemo.cc

٥. ج. كورتوا، لمحات في فن القيادة، تعريب هيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦، ص ١١.

٦. إبراهيم مدكور، المعجم الوجيز، منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢٥.

٧. عبيدات، القيادة والإدارة التربوية، ص ٤٦.

٨. البقرة، آية: ١٢٤.

٩. محفوظ، محمد جمال الدين، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٣٠٨.

١٠. نهج البلاغة.

١١. نهج البلاغة رقم النص ١٣١/ شرح الدكتور صبحي الصالح ص ١٨٨.

١٢. عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص ٨٦.

١٣. عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص ١٠٤.

١٤. عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص ٨٨.

١٥. عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص ٨٨-٨٩.

١٦. عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص ٩٦-٩٧.

١٧. عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص ١٠٣.

١٨. عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص ١٠٢.

١٩. عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص ١٢٨.

٢٠. عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص ١٠٥.

٢١. عبدة، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٠.

٢٢. هود: آية ٨٤.

٢٣. الأعراف: آية ٨٥.

٢٤. الرضي، الشريف، (الجامع)، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي

الصالح، خطبة ١٠٥، ١٨٧.
٢٥. الرضي، خطبة ١٦٦، ص ٢٩٧.
٢٦. الرضي، خطبة ١٧٦، ص ٣١٣.
٢٧. الرضي، الخطبة ٢٠٥، ص ٤٠٥.
٢٨. الرضي، كتاب ٥٧، ص ٥٧٥- ٥٧٦.
٢٩. العاملي، الحر، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، (د. م، د. ت)، ج١١، ص ٨١.
٣٠. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ط٢، الكويت، ١٩٨٥، ج ١ ص ٣٦.
٣١. الحائري، كاظم، أساس الحكومة الإسلامية، ص ٦٠.
٣٢. المصدر نفسه، ص ١٥٩.
٣٣. النساء: ١٠٥.
٣٤. العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٨ ص ١٥٦.
٣٥. عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص٥٣.
٣٦. عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص ٩٣.
٣٧. الرضي، نهج البلاغة، رقم النص ٢١٦، ص ٢٣٢.